تاريخ اكتشافه ولا يعلم ايضاً هل جلبوه من اتروريا او بطاليا او وجدوه في مكان قريب منهم. ولقد كانوا يستخرجونه من مناجم سلتر كوني اذ وجدت فيها جعلان من الجعلان المصرية. وكان البحث عن المعادن ونقلها من مكان الى آخر يقضي باتساع نطاق التجارة براً وبحراً وبذلك انتشرت الآلات والادوات في اوربا واسيا وكانت من مصدر واحد كما يظهر من شكلها

وجاء الفينيقيون الى سواحل الشام من جهات خليج فارس سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح وبقيت دولتهم نحو ألف سنة وكانوا ماهرين في الصناعة وجروا على امثلة المصنوعات المصرية والاشورية وبرعوا ايضاً في التجارة فمصروا المدن وانشأوا مراكز التجارة فانتشرت مصنوعاتهم المعدنية في سواحل الروم وفي غيرهم في صوغ الحلى الذهبية كما يظهر مما يوجد من مصنوعاتهم في متاحف اوربا

واتساع نطاق التجارة يقضي باستعمال النقود وقدمها مزيج من الذهب والفضة مضروب من جهة واحدة ضُرب قبل المسيح بنحو سبع مئة سنة ويقال ان النقود الفضية ضربت قبل ذلك بنحو مئة سنة. وقد زالت تلك الدول القديمة وجاءت دولة الرومان وشعارها الحديد ولا تزال في عصر الحديد الى الآن ولم تغير مدلوله من السيف والرمح الى البواخر وسكك الحديد. وعسى ان لا تستعمل هذه الادوات لاستعباد الناس بل لمواساتهم

العالم العتيد

وآراء الاولين فيه

ملخصة بقلم نسيم افندي مرقص من كتاب اصول السيولوجيا للفيلسوف هربرت سبنسر

الحياة بعد الموت والعالم العتيد مرتبطان مما اشد الارتباط حتى يتعذر البحث عن احدهما مجرداً عن الآخر. ومن تتبع تاريخ الاعتقاد بهما رأى انه سار على اسلوب واحد فكما تدرج الاعتقاد بمشابهة الحياتين الدنيا والآخرة الى الاعتقاد باختلافهما هكذا تدرج الاعتقاد ببقاء النفس بقرب الجسد الذي فارقته الى الاعتقاد بذهابها الى المساكن الابدية وراء الشفق. ومعتقدات الاولين في الحياة بعد الموت والعالم العتيد نشأت معاً في الاصل فان وضع المتوحشين الطعام على قبور اسلافهم دليل على اعتقادهم بقربهم منها وانهم اذا ابتعدوا عنها فلا بدّ من رجوعهم اليها. ولذا يقول اهالي جزائر صندويج ان ارواح الموتى تحوم حول المنازل التي كانت تسكنها واهالي مدغشقر ان ارواح اسلافهم تتردد على قبورهم وهنود غيانا انه اذا توفي احدٌ في بيت سكنت الارواح ذلك البيت. وهذا الاعتقاد شائع في افريقية

فكثيرون من قبائلهم يقولون ان الروح تبقى حيث يُلقى الجسد . وقد زاد بعضهم على ذلك بقولهم ان روح الموتى تخالط الاحياء وتشاركهم في مآديبهم وتحوم حول اولادها . وبعض رسوم الحداد الكثيرة الشيوع كهجران بيت الموتى والابتعاد عن قريته تحمل اصحابها على الاعتقاد بقرب عالم الارواح من منازل الاحياء لزعمهم ان الروح تسكن البيت او القرية حيث دُفن الميت . فاذا توفي احد اهالي كمتشكا في شرقي سيبيريا هجر اهلهُ كوخهُ وتركوا جسدهُ فيهِ . واذا مات احد زعماء هنود الكريك في اميركا الشمالية دفنهُ اهلهُ في منزلهِ وبنوا لانفسهم منزلاً جديداً لاعتقادهم ان الجن تسكن البيت الذي دفن فيهِ الميت . ومن عادات قبيلة البلوند في افريقية انهُ اذا مات لاحدهم زوجة يحبها هجر الكوخ الذي ماتت فيهِ وعاد اليهِ من وقت الى آخر ليصلي اليها او ليقدّم لها القربين . وبعض قبائل افريقية كالهوتنتوت والبكوانامس كانوا يهجرون قراهم عند وفاة احد فيها ويبنون قرىً جديدة

وواضح مما تقدم ان آراء الاوّلين في الموت والقيامة والحياة العتيدة التجت الاعتقاد بان النفس تقضي حياتها الثانية في الاماكن التي كانت فيها وهي حالةٌ في الجسد

ومن نتيج معتقدات اولئك الاقوام رأها قد تغيرت تدريجاً عند بعضهم فعرضاً عن حصر مقرّ الروح في البيت الذي كان يسكنهُ الميت او قرب المدفن الذي دفن فيهِ جسدهُ صاروا يزعمون انهُ في مكان واسع تذهب اليهِ الارواح ثم تزور منازلها الارضية احياناً ولكنها تبقى بعيدة عنها في الغالب . فاهالي كاليدونيا الجديدة يعتقدون ان الارواح تسكن الغابات وبعض قبائل افريقية يقولون ان في الغابات اناساً وحشيين يأخذون نفوسهم ويستعبدونها . واهالي الفوم يزعمون ان الارواح الحقيرة تسكن الآجام التي قرب القرى وزعماؤها يسكنون الآجام البعيدة . وعادة دفن الموتى على قمم الجبال نقلت عالم الارواح من جوار القرى الى الجبال العالية . فكثيرون من الاتراك كالياقوتيين في اميركا الجنوبية وسكان غربي بلاد العرب وغيرهم يدفنون موتاهم على قمم الجبال ويقولون انها مساكن اصدقائهم المتوفين . والذين يدفنون موتاهم في الكهوف العميقة يعتقدون ان عالم الارواح في بطن الارض زعمهم ان النفس تقضي اكثر اوقاتها حيث يكون الجسد . وقد كان هذا الاعتقاد شائعاً في اغلب اقسام العالم كما يستدلّ من الآثار الباقية في الكهوف ودام طويلاً بعد ان هجر الناس الكهوف واستعاضوا عنها بالبيوت المشيدة

ولايضاح منشإ هذا الاعتقاد بوجود عالم الارواح في باطن الارض نبحث عن السبب الذي حمل الناس على الاعتقاد بوجودهِ بعيداً عن منازلهم . وهذا السبب هو الارتحال من

اقليم الى آخر . فالذين هجروا بلادهم من عدو هاجم او جدب اصابها يحنون دائمًا اليها والى هنالك الذين تركوهم فيها . واذا حلموا انهم زاروها وقصّوا احلامهم بعضهم على بعض ظنّوها حقيقية وتولد فيهم الاعتقاد بزيارة ارواحهم لاوطانهم الاصلية في النوم ورجوعها في اليقظة . ثم لما كان الموت عندهم انفصال النفس عن الجسد انفصالاً وقتيًّا صاروا اذا مات احدهم يقولون ان نفسهُ مضت الى البلاد التي كان يزورها في منامهِ ويصبو اليها . ونرى هذا الاعتقاد صريحًا او ضمنًا عند اكثر الاقوام في العالمين القديم والحديد فاذا تُوفي احد اشراف بيرو قالوا انهُ دُعي الى منزل ابيهِ الشمس (والشمس مذكر في لغتهم) واهالي ماندان في غربي اميركا الشمالية يقولون انهم يرجعون بعد الموت الى مواطن اسلافهم الاصلية . ويزعم اهالي مانجايا في جزائر المحيط الجنوبية ان ارواح الموتى ترجع الى منازل اسلافها حيث مغرب الشمس . وقال احد زعماء جزيرة زيلاند الجديدة لاحد السيّاح « لا تظن اني نشأت على هذه الارض فاني اتيت من السماء حيث اسلافي كلهم آلهة وساعود اليهم » . وعند وفاة احد قبائل الهنتال في الهند بعيدًا عن نهر الكنك يأخذ اقرب الناس اليهِ اثرًا صغيرًا منهُ ويلقيهِ في النهر لكي يحملهُ التيار حسب زعمهم الى اراضي المشرق البعيدة حيث جاء اسلافهم . وهذا الاعتقاد يحملهم على طرح جثة الميت كلها في النهر عند ما يكون بقربهِ . وكانت القبائل التيوتونية وهم سكان شمالي اوربا تقول ان الموت عبارة عن رجوع نفوسهم الى منازل ابيهم الاول الذي ولدوا منهُ

وسفر الروح الاخير عند هؤلاء الاقوام مطابق لما ورد في تقاليدهم عن ارتحالهم على وجه الارض فيقولون انهُ عود الى بدء اي ان نفوسهم تعود الى المكان الذي اتوا منهُ وفي الطريق التي سارت فيها قبلاً . ولبيان مطابقة معتقدهم لحوادث الحقيقية نقول ان الرُحَّل كانوا يضربون في كل الجهات ولذا اختلفت جهات عالم الارواح عند الاقوام المختلفة بل عند الامم التي تسكن قريبةً بعضها من بعض . ويستدلُّ غالبًا من هذا الاختلاف على الطرق التي سار فيها اولئك الاقوام حتى وصلوا الى بلدانهم الحالية وهي مطابقة لما ورد في تقاليدهم القديمة عن مهاجرتهم لاوطانهم الاصلية . فقبيلة الشوس في اميركا الجنوبية وقبيلة الاراوكيين جيرانهم التي في جوارها تعتقدان ان اسلافهما كانوا يقطنون ارض المغرب في عبر البحر وانهما سترجعان اليها بعد الموت . واليتكا وهم حكام بيرو واشرافها كانوا يعتقدون بالرجوع بعد الموت الى المشرق الى البلاد التي اتوا منها ولذلك كانوا يدفنون الميت ووجههُ الى الشرق . وقبيلة الاوتوماكس في غيانا تزعم ان فردوس الارواح في الغرب واهالي اميركا الوسطى يقولون انهُ

في الشرق وقبيلة الشوك في شمالي اميركا الشمالية تقول انهُ في الجنوب. اما القبائل التي كانت تقطن جنوبي اميركا الشمالية فتقول انهُ في المغرب. ونرى مثل هذا الاختلاف بين شعوب آسيا وافريقية وجزائر بولينيزيا . وحيث لا يوجد نصٌّ صريح عليهِ يستنتج استنتاجاً من كيفية وضع جسد الميت فان اغلب الشعوب تدير وجه موتاها الى الجهة التي تزعم ان النفس تسير اليها

وكما اختلفوا في جهة مقر الارواح بعد الموت اختلفوا في كيفية الوصول اليهِ وفي الاستعداد اللازم لهُ فقال البعض ان طريقهُ في باطن الارض وقال غيرهم ان طريقهُ على وجهها وكان البعض يستعدون للسفر اليهِ في البحر او في النهر . فالذين كان اسلافهم يسكنون الكهوف يعتقدون ان انفسهم تعود الى باطن الارض حيث نشأت . ذكر احد السيّاح ان نصف قبائل اميركا يرون هذا الرأي وسببهُ ان اسلافهم كانوا يقطنون الكهوف ولما كانت لغاتهم قاصرة عن التعبير وليس فيها فرق بين لفظتي الخلق والولادة صاروا يقولون انهم خُلقوا تحت الارض عوضاً عن انهم ولدوا تحتها. فاذا بقي هؤلاء الاقوام في اماكنهم ولم يرتحلوا عنها نسبوا نشأتهم الى كهف مشهور فيها كما في بلاد باسوتو في جنوبي افريقية حيث يشير الاهالي الى كهف مشهور عندهم وينسبون نشأتهم اليهِ . اما اذا ارتحلوا من مكان الى آخر لم يُعد لهم كهوف معينة ينسبون اليها نشأتهم فيزعمون كما زعمت اغلب الشعوب القديمة ان الارض امٌّ لجميع الكائنات واليها المصير . ويقوى فيهم هذا الزعم بما يجدونهُ من الكهوف الكبيرة التي حفرتها المياه في الصخور الكلسية فان اتساع هذه الكهوف وتشعُّب مسالكها وكثرة انهارها وبحيراتها وميل المتوحشين الى المبالغة في وصف الاشياء التي يستعظمونها حملهم على الغلو في الكلام عنها والقول بان لا نهاية لها ولا قرار. واذا كانت هذه الكهوف مسكناً للناس ومدفناً لهم نشأ فيهم الاعتقاد بقيام ارواحهم فيها وبان السفر بعد الموت ينتهي بالنزول الى الهاوية

وتتعدَّد الارواح لهذا السفر على طرق شتى . فاهالي فيجي يضعون هراوة في يد الميت وغيرهم يضع فيها قوساً وما اشبه من ادوات الحرب لتدافع بها الروح عن نفسها. والعرب كانوا يحزون ناقة المتوفى لكي يحشر راكباً عليها فلا يتعبهُ السير ماشياً واهالي المكسيك كانوا يعطونهُ اجازة سفر لكي لا تعترضهُ المخاطر والاسكيمو يضعون راس كلب على قبر الطفل لكي يهتدي في مسيرهِ الى عالم الارواح ويلمَّ جرًّا

وعنيَّ عن البيان ان تصور هؤلاء الاقوام للطرق التي تسير فيها نفوسهم في سفرها الاخير يختلف باختلاف الطرق التي سلكوها في رحلاتهم . فاهالي الشاطئ الذهبي في غربي افريقية يقولون ان سماءهم في داخل البلاد وراء نهر لا بد من عبوره قبل الوصول اليها. وهذا الاعتقاد

شائع كثيراً وسببهُ انهُ قلما يرتحل شعب من مكان الى آخر ولا يعترضهُ نهر كبير ثم يتوارث نسلهُ تاريخ عبور ذلك النهر خلفاً عن سلف حاسبين اياهُ اعظم عقبة اجتازوها في الماضي وستجتازها ارواحهم في رجوعها الى الوطن الاصلي . ولهذا السبب يقول بعض هنود اميركا حينما يستفيق احدهم من غيبوته ان روحهُ لم تتمكن من عبور النهر فعادت اليهِ

ثم اذا كان الشعب قد ارتحل سائراً في النهر الى جهة منابعهِ وعر الطريق الوحيد الذي يتمكن به المتوحشون احياناً من الايغال في البلاد الواسعة حسب اولادهم عالم الارواح في الجهة التي يصبُّ فيها ذلك النهر . وقد ذكر السياح عن كثيرين من شعوب اميركا وغيرها انهم يضعون امتعة المتوفى في قارب ويتركونهُ يسير في النهر مع التيار الى عالم الارواح . وقد استغنى بعضهم عن ذلك بربط القارب الى جانب القبر وغيرهم يدفن الجثة في قارب بجانب النهر وتوجيه مقدم القارب الى جهة مصب النهر . وهذا مثال لما يطرأ على العوائد احياناً من التغيير حتى يضيع المقصد الذي وضعت لهُ

واذا ارتحلت الاقوام من جزيرة الى اخرى او من بلاد الى اخرى يفصل بينهما البحر كان القارب الواسطة الوحيدة للوصول الى فردوسهم . فاهالي جزائر التوبغا الى الشرق من جنوبي افريقية يزعمون ان فردوس ارواحهم في جزيرة بعيدة واهالي جزيرة فيجي يقولون انهُ لا يمكن الوصول الى فردوسهم الاَّ بالسفر في قارب . واذا مات احد اهالي ساموى قالوا انهُ سافر بحراً . وعدا هذه الاقوال الصريحة فعند بعض القبائل عادات تدل على الاعتقاد بالسفر بحراً الى فردوس ارواحهم . في جزائر صندويج كثيراً ما ترى قطع القوارب بجانب القبور . وكان اهالي زيلاندا الجديدة يضعون قارباً بشراعهِ ومجاذيفهِ على القبر او فيهِ ثم صاروا يدفنون الجسد في صندوق بهيئة قارب . واهالي باتاغونيا ينتظرون رجوع ارواحهم الى مواطن اسلافهم في ارض المغرب عبر البحر ولذلك يدفنون الاجساد في قوارب بجانب الشاطئ . وهذه العادة كانت شائعة عند بعض قبائل استراليا واميركا الشمالية واهالي شمالي اوربا وخلافهم

وهنا امر آخر جديرٌ بالنظر وهو الاعتقاد بوجود عالمين . وسببهُ انهُ اذا دخل شعبٌ بلاداً غريبة وامتلكها حسب ان نفوس موتاهُ فردوساً خاصاً ولكان البلاد الاصليين فردوساً آخر . مثال ذلك ان اشراف جزائر ساموى يقولون ان لهم سماء خاصة بهم . وكان لقبيلة ايكا المتسلطة على بيرو ولكانها الاصليين فردوسان مختلفان . ويقول بعض اهالي التوبغا ان الفردوس خاص بارواح الاشراف ولطهم اضاعوا فردوس العامة بضياع تقاليدهم القديمة فلم يبقَ عندهم الاَّ تقاليد الاشراف . وبديهيٌّ انهُ لم يكن للاولين مقياسٌ للخير والشر سوى

القوة في الحرب فكانوا يعنون الالوية او الحكام بالصلاح ويعنون الضعفاء او المحكومين بالطلاح ولذلك كان اذا تغلّب شعب على آخر واعتقد كل منهما بفردوس للارواح خاص به صار هذان الفردوسان على تعادي الايام عالمين مختلفين احدهما لارواح الابرار والآخر لارواح الاشرار بعد ان كانا لارواح الشعب الغالب والشعب المغلوب . واذا كان الشعب المغلوب من ساكني الكهوف نشأ فيه الاعتقاد بان ارواح الاشرار تنزل الى باطن الارض وارواح الابرار تذهب الى اراضي الخيرات في احدى الجهات الاربع . اما اذا بنى خلفاء سكان الكهوف متمتعين بالاستقلال ولم يتسلط عليهم شعب آخر يثبت كهوفهم محلاً للراحة بعد الموت ولم تتخذ صفة موضع العذاب

وهنا امران جديران بالانتباه اولها ان عالم الارواح الذي يعتقد سكان الكهوف وخلفاؤهم بوجوده تحت الارض يصير على توالي الايام محلاً للعذاب عند مقابلته بالعوالم الاخرى في عبر البحر او في الجزائر البعيدة . والثاني ان الاراضي الوعرة التي بقي اليها العصاة كانت المثال الذي بني عليه وصف جهنم[1] وغيرها من اماكن العذاب والشقاء

بقي علينا مسالة الاعتقاد في ما اذا كان العالم العتيد واقعاً في هذه الدنيا او خارجاً عنها . ومن تدبر افكار الاولين وقواهم العقلية رأى ان انتقال نفوسهم من قمم الجبال الى السماء امر طبيعي لا يصعب عليهم تصديقهُ . فقد ذكرنا سابقاً ان بعض المتوحشين كاهالي جزيرة بورنيو يدفنون موتاهم على رؤوس الجبال العالية ولاعتقادهم ان ارواح الموتى تحوم حول اجسادها يقولون ان قمم الجبال مسكونة بالارواح . ولقصر لغات اولئك الاقوام في التعبير يلتبس عليهم اظهار الفرق بين كون الارواح تسكن قنن الجبال التي تعلو في الجو او تسكن السماء نفسها لا سيما وان الاولين كانوا يعتقدون ان قبة السماء مرتكزة على قمم الجبال العالية

وخلاصة ما تقدّم ان عالم الارواح الذي اعتقد الاولون انهُ حالٌّ في عالم الاحياء ابتعد عنهُ رويداً الى الغابات المجاورة ثم الى الغابات البعيدة ثم الى قمم الجبال الشاهقة . والزعم برجوع الارواح الى مواطن اسلافها قد غيّر هذا المعتقد بحسب تقاليد الشعوب المختلفة فالذين كان اسلافهم يسكنون الكهوف يقولون انهم يرجعون اليها بعد الموت والذين ارتحلوا من بلادهم الاصلية الى بلاد اخرى يؤملون ان تعود ارواحهم الى مواطن اباتهم بعد مفارقتها لهذه الاجساد اما بالسير على اليابسة او بالسفر في نهر او بحر . وحيثما سكن شعبان

(١) كلمة جهنم العربية من حي هنوم العبرانية اسم وادي هنوم اسم وادٍ في الجنوب الشرقي من اورشليم كانت تلقى فيه الاقذار

احدهما غالب والآخر مغلوب في ارض واحدة اعتقد كلٌّ منهما بفردوس خاص به ثم زعموا بتفاوت هذين الفردوسين حسب تفاوت مراتب الشعبين . واذا جرت عادة الرعاع والاشراف ان يدفنوا موتاهم على قمم الجبال انتقل ذلك الفردوس من راس الجبل الى الجو القريب منهُ وابتعد تدريجاً الى ما وراء الغيوم . وهكذا نرى ان عالم الارواح بعد ان كان ملاصقاً لعالم الاحياء وحالاً فيهِ ابتعد عنهُ شيئاً فشيئاً في التصور وزادت المسافة بينهما حتى بلغ اعالي الجو

ويرى القارئ من ذلك كيف ان جميع المعتقدات المبنية على تصور الاولين للموت والحياة قد تغيرت على منهج واحد فالقيامة العاجلة استحالت الى قيامة آجلة والحياة بعد الموت اختلفت كثيراً عن الحياة الدنيا بعد ان حسبوها متشابهتين والعالم البعيد الذي زعموا اولاً انهُ ملاصق للعالم الحاضر انفصل عنهُ وابتعد ولم يعد في بقعة معينة كما كان اوّلاً

(المقتطف) هذا ما يرادُ هربرت سبنسر ومن شاكلهُ من العلماء في اصل الاعتقاد بالقيامة والخلود . لكن اصحاب الاديان المنزلة يقولون ان الاعتقاد الحقيقي بالقيامة والخلود مصدرهُ الوحي الالهي لا غير وما سواهُ خرافات لا يعوّل عليها

ميسنيه اعظم مصوري العصر

اذا صوّر مصوّر صورةً باعها باثني عشر الف جنيه نقداً ايا ما المشتري من غير مساومة وهو يعدُّ نفسهُ غير مغبون كما جرى لميسنيه المصور الفرنسوي الشهير لاق بكل باحث عن اعمال الناس واساليب الغنى ان يعلم كيف تصوَّر الصور الثمينة التي تباع بالوف الجنيهات ولماذا يغالي الناس بها وهل المهارة في التصوير او غيره من الفنون ميسورة لكل احد . وتتضح هذه المسائل واشباهها من تاريخ هذا الرجل اعظم مصوري فرنسا بل اعظم مصوري العصر . وقد لخصنا اكثر ما يلي من مقالة مسهبة نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر لصديقهِ الكاتب المحقق شارل يرمات

قال الكاتب اني اعرف اكثر مشاهير المصورين في اوربا وميسنيه اغربهم اطواراً وفي ترجمتهِ من الفائدة ما ليس في ترجمة مصور آخر لانهُ فاق غيرهُ في حسن اسلوبهِ وشدة اهتمامهِ باتقان صناعتهِ

ولد سنة ١٨١٥ وبدا فيهِ الميل الى التصوير منذ حداثتهِ فكان يهمل الدرس وهو في